زوجات النبي ﷺ الطاهرات
و حكمة تعدّدهن

■ د. محمد السايح صالح الكوربو*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ الصادق الوعد الأمين.

وبعد ... فإن الدين الإسلامي دين الفطرة وشريعة الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ ولأن الأسرة عماد المجتمع الإنساني وأساس بنيانه فقد أولاها عناية خاصة، ومن القضايا التي عالجها هذا الدين قضية تعدد الزوجات، ولم تكن هذه القضية مثار نقاش وجدال عندما كان المسلمون متمسكين بدينهم أقوياء لم يدب إليهم الضعف، ولكن بعد أن خارت قواهم وتفرقت كلمتهم وانتشرت التيارات الفكرية التي تحاول النيل من الإسلام والمسلمين بدأ النقاش على موضوع الزواج عامة وتعدد الزوجات خاصة، حتى وصل الأمر ذروته عندما حاول بعض المستشرقين النيل من الطاهر المطهر سيدنا محمد ﷺ خير البرية الذي قال فيه ربه: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[1] ؛ وذلك باختلاق التهم والأكاذيب حول تعدد زوجاته ﷺ .

وقد اخترت تعدد زوجاته ﷺ كموضوع لهذا البحث وأنا على علم أنني لا أستطيع أن آتِ فيه بجديد، ولكن أردت عرض هذا الموضوع بطريقة حديثة حتى يسهل فهمه على القارئ ؛ وليتعرف على بعض الحِكَم التي كانت وراء تعدد زوجاته ﷺ .

لقد تزوج الرسول الكريم ﷺ بأكثر من أربع نسوة وهي خصوصية له ﷺ فقد ثبت بالدليل القرآني أن للرسول الكريم ﷺ أموراً خاصة به دون غيره، مثل أن تَهِبَ المرأة نفسها له دون مهر، والتعدد بأكثر من أربع، وعدم وجوب القسم بين الأزواج، كل ذلك خاص به

*عضو هيئة التدريس قسم الدراسات الاسلامية كلية الآداب . جامعة سبها

صلوات الله وسلامه عليه تشريفاً له وإظهاره لمقامه السامي عند الله تعالى فقد قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [2].

وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: « تزوج رسول الله ﷺ بخمس عشرة امرأة ودخل بثلاث عشرة منهن ومات عن تسعٍ وكان له جاريتان » [3]

ومن ثم يكون الزواج بهذا العدد من النساء من خصوصياته ﷺ وهو ليس للمتعة وإنما لأسباب أعظم وأهم، وهذه الخصوصية ليست خصوصية عدد وإنما خصوصية معدود، فبعض الناس لا يفرقون بين الاستثناء في العدد والاستثناء في المعدود، ومحمد ﷺ لم يستثن في العدد وإنما استثني في المعدود، والفرق بين الاثنين أن محمداً عليه الصلاة والسلام اجتمعت عنده إحدى عشرةَ زوجة ولم يُبح له عدد إحدى عشرة، ثم أبيح له معدودات إحدى عشرة إذا ذهبت واحدة منهن ليس له أن يكمل العدد[4] قال تعالى: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ [5].

إن الرسول ﷺ ما كان له حاجة لأن يتزوج بمن تزوج من النساء بعد السيدة خديجة < وقد أمضى معها زهرة شبابه وصفوة عمره لولا حرصه ﷺ على الدعوة الإسلامية[6].

لقد اختارهن الله لحبيبه المصطفى ﷺ وأكرمهن بهذا الشرف العظيم شرف الانتساب إلى سيد المرسلين واختارهن من صفوة النساء وجعلهن أمهات المؤمنين في وجوب الاحترام والتعظيم وفي حرمة الزواج بهن حتى بعد وفاته ﷺ تكريماً لرسوله[7]، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [8] وقال أيضاً: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾[9].

وقد شرّف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين أي في وجوب التعظيم والمبرة والإحلال وحرمة النكاح على الرجال ؛ فكان ذلك تكريماً لرسوله وتشريفاً لهن[10].

أولاً: السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

وهي أول أزواجه ﷺ فقد تزوجها الرسول الكريم وهو لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره وقد كانت أرملة في الأربعين وكانت عند أبي هالة ابن زرارة أولاً ثم خلف عليها بعده "عتيق بن عائد" ثم خلف عليها الرسول ﷺ [11].

وقد اختارها عليه الصلاة والسلام لسداد رأيها ووفرة ذكائها، وقد أعجبتها رضي الله عنها

أمانته وحببه إليها صِدقهُ وقد كان يُعرف بين قومه يومذاك بالصادق الأمين، وكان زواجه بها حكيماً موفقاً فهي التي كانت ترفض سادات قريش وكبراءها الذين تقدموا لخطبتها وآثرت محمداً الأمين والنبي المنتظر لتكون خير نساء العالمين وكانت له نعم الزوجة العارفة بحقيقته ومكانته وبحاضره وغده، فقالت له يوم عاد من غار حراء يرتجف بعد لقاء جبريل عليه السلام ونزول الوحي وهو يقول: زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع فحدثها بالخبر وقال: "لقد خشيت على نفسي فقالت له ﵂: "أبشر كلَّا والله ما يخصزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكَلَّ وتُكسب المعدوم وتُقرِئ الضيف وتُعين على نوائب الحق"[12]، وقد كانت السيدة خديجة ﵂ عاقلة راجحة الرأي، وقد كان لسنها ورجاحة عقلها دور أساسي في العمل على طمأنة الرسول الكريم وشد عضده وتفسيرها العقلاني لما حدث له، وانه ليس بعارض من الجن او السحر وانما هو أمر رباني، حتى انها في قصة اخرى وضعت رأسه في حجرها وقالت له: هل ترى ما تراه و تقصد جبريل عليه السلام وقالت له: لو كان جنا لما انصرف أما وأنه قد انصرف فهو ملك كريم ؛ فلو كان ما حدث للرسول الكريم في غار حراء وهو متزوج امرأة صغيرة السن لما كانت تستطيع أن تقوم بطمأنة الرسول الكريم أو الشد من أزره، بل ربما قد تكون قد زادته هلعاً وخوفاً. وكيف أنها ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل " وانطلقت به خديجة ﵂ حتى أتت به ورقة بن نوفل فقالت له: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فاخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّلَ الله على موسى، يا ليتني فيها جدع " [13]

وقد كان ﷺ يحبها حباً شديداً ويكثر من ذكرها والإطراء عليها حتى أن نساءه كن يغرن منها، مما جعل السيدة عائشة ﵂ عند ذكره لها تقول: "وهل كانت إلا عجوزاً في غابر الأزمان قد أبدلك الله خيراً منها" تعني نفسها، فغضب الرسول الكريم من هذه الكلمة وقال لها: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، لقد آمنت بي إذ كفر الناس بي وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء. قالت: فلم أذكرها بسوء بعدها أبداً[14].

وكان ﷺ نعم الزوج الوفي لها حتى بعد وفاتها يذكر مواساتها له وعطفها عليه وتأييدها إياه ويحفظ عهدها في صويحباتها اللاتي كان يهديهن بعض الهدايا من لحم أو لبن فتغار السيدة عائشة ﵂، فقد روي أنها قالت ﵂: « ما غرت من أحد من نساء النبي ما غرت من خديجة وما رأيتها قط ولكن كان النبي يكثر من ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يبعثها في صدائق خديجة ﵂ وربما قلت: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة﵂ فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها الولد». [15]

وقد عاشت ﵂ مع رسول الله ﷺ خمس عشرة سنة قبل البعثة وعشرة بعدها ولم يتزوج الرسول الكريم عليها وقد رزق منها جميع أولاده عدا إبراهيم .

ثانياً: السيدة سودة بنت زمعة ﵂ :

وهي امرأة تجاوزت من العمر الخامسة والخمسين فقد كانت زوجة للسكران بن عمرو الأنصاري وتوفي زوجها عنها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية فأصبحت وحيدة لا مأوى لها، إلا بيت أبيها وكان مشركاً فخشي الرسول الكريم عليها من الأذى فاختار ﷺ كفالتها فتزوجها، وهذا هو منتهى الإحسان والتكريم، وقد تمنت السيدة عائشة ﵂ان تكون في مثل هيئتها وطريقتها حيث قالت ﵂ " ما من الناس أحدٌ أحب إليَّ أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة إلا ان بها حِدة " [16]وكانت تحب الصدقة فعن عائشة ﵂ فقالت: " اجتمع أزواج النبي ﷺ عنده ذات يوم فقلن: يا نبي الله أيتنا أسرع لحوقاً بك ؟ فقال: أطولكن يداً، فأخذنا قصباً فذرعناها فكانت سودة بنت زمعة ﵂ أطولنا فقالت: توفي رسول الله ﷺ فكانت سودة ﵂ أسرعنا به لحوقاً فعرفنا بعد أنما كان طول اليد من الصدقة، وكانت امرأة تحب الصدقة "وزيادة على ذلك فقد كانت راجحة العقل .[17]

وكان بزواجه بها إنما ليعلم المسلمين تشريع الزواج بالأرامل فيمتثل به المؤمنون وهو من تعاليم الدين الإسلامي ولو كان غرض الرسول ﷺ الشهوة كما يزعم المستشرقون لتزوج النواهد الأبكار بدلاً من الأرملة المسنة وقد كان يومها كل رجل يتمنى نسبه ﷺ ولكن عليه الصلاة والسلام كان المثل الأعلى في الشهامة والنجدة والمروءة.

ثالثاً: السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق ﵂:

تزوجها الرسول ﷺ وكانت بكراً وهي البكر الوحيدة بين نسائه الطاهرات ولم يتزوج بكراً غيرها وقد عقد عليها وهي في السادسة من عمرها ... وفضلاً عن ذلك فقد كان هذا الزواج رابطاً بينه وبين أبي بكر خير أصحابه وإن زواجها كان بوحي من الله سبحانه وتعالى فعن السيدة عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: أريتك في المنام مرتين اذا رجل يحملك في سرقة حرير فيقول هذه امرأتك فاكشفها فاذا هي أنت فيقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه"[18] ولحكمة بالغة، فهي التي حفظت عن النبي ﷺ وروت عنه الكثير من سنته التي اهتدى بها المسلمون في الجانب الأسرى وما كان ذلك ليحدث لولا أنه اختارها صغيرة تحفظ بسهولة ما تعرفه عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير[19].

وقد كان كثير من علماء الصحابة يسألونها عن بعض الأحكام التي تَشْكُل عليهم فتبيها لهم، ورُوي عن أبي موسى الأشعري ﵁ أنه قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة ﵂ إلا وجدنا عندها منه علماً...»[20] وقال عروة: « ما رأيت امرأة أعلم بطب ولا فقه ولا شعر من عائشة ﵂... ولم يرو في الصحيح أحد من الرجال

أكثر ما روي عنها إلا شخصان هما: أبوهريرة وعبد الله بن ﷺ»[21].

وقد كان النبي ﷺ أحرص الناس على العدل بين نسائه قدوةً للمسلمين ومعلماً وإماماً إلا فيما لم تملكه بشريته من المساواة بينهن في العاطفة والقلب، فقد كان شديد الحب لعائشة ﷺ ومما جاء في فضلها "انه سُئلَ عن أحب النساء إليه فقال: عائشة، وعن أحب الرجال فقال: أبوها""[22] وكان يعدل بينهن في القسم ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك »[23].

ولقد كانت مصاهرة الرسول ﷺ للصديق منّة ومكافأة في هذه الحياة الدنيا"[24].

رابعاً: السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ:

تزوجها رسول الله ﷺ وهي أرملة، حيث كانت زوجة لخنيس بن حذامة الأنصاري وتوفي عنها زوجها في غزوة بدر، وقد أخرج البخاري عن عبدالله بن عمرو ﷺ: إن عمراً حين تأيمت حفصة من خنيس ـ وكان شهد بدراً وتوفي بالمدينة – لقي عثمان فقال إن شئت أنكحتك حفصة؟ قال: سأنظر في أمري، فلبث ليال فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج . قال عمر: فقلت لأبي بكر: إن شئت أنكحتك حفصة فصمت فكنت عليه أوجد مني على عثمان: فلبث ليالي ثم خطبها النبي ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبوبكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك؟ قلت: نعم، قال: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك إلا أني علمت أن النبي ﷺ ذكرها، فلم أكن لأفشي سره ولو تركها لقبلتها"[25].

لم يشأ سيد المرسلين أن يضن على صديقه ووليه بالمصاهرة التي شرّف بها أبو بكر ﷺ قبله وليوثق من علاقته به وكان لديه في منزلة صديقه أبوبكر ﷺ "[26].

خامساً: السيدة زينب بنت خزيمة ﷺ:

تزوجها عليه السلام وكانت أرملة وحيدة فقد توفي عنها زوجها عبيد بن الحارث بن عبد المطلب في غزوة بدر وقد كانت هي الأخرى قد اشتركت في بدر إذ كانت تضمد الجرحى وتحمل الماء إلى المحاربين ولمّا علم الرسول ﷺ بصبرها وثباتها وأنه ليس لديها من يعينها أو يقف إلى جانبها خطبها لنفسه وتزوجها وآواها، وقد كانت تؤوي اليتامى والضعفاء والمساكين وتجعل من بيتها ملجأً لهم حتى إنها كانت تسمى بأم المساكين، وكان عمرها عندما تزوجها رسول الله ﷺ ستين عاماً، ولم تعمر عنده أكثر من عامين فقد وافتها المنية حينذاك. فأين ما يدعيه الأفّاكُون ومن تبعهم من هوىً أو شهوةً في مثل هذا الزواج . إن زواجه هذا ﷺ لم يكن سوى بدافع الشفقة والرحمة.

سادساً: السيدة زينب بنت جحش ﷺ:

تزوجها الرسول ﷺ وهي ثيب وقد كانت زوجة لزيد بن حارثة ثم طلقها نتيجة لسوء

العشرة بينهما والتي سببها الحالة الاجتماعية لكل منهما فزينب شريفة وزيد رضي الله عنه بالأمس كان عبداً، وقد أراد الله امتحانهما بزواج زيد لتحطيم مبدأ العصبية القبلية والشرف الجاهلي فحين عرض الرسول الكريم على زينب الزواج من زيد امتنعت واستنكفت اعتزازاً بنفسها وشرفها فنزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[27]، فخضعت زينب رضي الله عنها لأمر الرسول ﷺ وأسلمت لزيد جسدها دون روحها فكان من وراء ذلك الألم والضيق"[28] وساءت العلاقة بينهما فجاء زيد رضي الله عنه يستأذن الرسول ﷺ في طلاقها فأمره الرسول ﷺ بالتمهل في ذلك ولم يدم الأمر طويلاً حتى طلقها زيد، وقد كان زواجه ﷺ من زينب بنت جحش طاعة لأمره تعالى؛ وذلك لحكمة بالغة وهي إبطال عادة التبني وتحريم زوجة الابن المتبني، وليس كما يدّعي الذين يتصيدون التُهم على الإسلام والمسلمين.

سابعاً: السيدة أم سلمة «هند بنت أبي أمية المخزومية» رضي الله عنها:

تزوجها الرسول الكريم وهي أرملة وكان زوجها عبدالله بن عبد الأسد قد مات عنها في غزوة أحد وتركها وأربعة أيتام، وكانت كهلة مسنّة فأراد النبي ﷺ أن يكفلها وعيالها فاعتذرت إليه وقالت: إني مسنّة وإني أم أيتام وإني شديدة الغيرة فأجابها الرسول ﷺ وأرسل لها يقول " أما الأيتام فأضمهم إليّ وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة"[29].

وقد كانت رضي الله عنها من نسب شريف وسبّاقة إلى الإسلام وكانت ذات رأي سديد و كان الرسول ﷺ يستشيرها في بعض الأمور ويأخذ برأيها حيث كانت راجحة العقل، ولها في صلح الحديبية موقف رائع، فقد أشارت على رسول الله ﷺ عندما دخل عليها ولم تطب نفوس أصحابه بالتحلل بأن يخرج فيحلق ويذبح فإذا رآه أصحابه تابعوه على ذلك، فكان ما تنبأت به وتلك المشورة تدل على ما أوتيت من عقل وحسن تدبير . وقد روى الامام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: " يا أيها الناس انحروا واحلقوا، فما قام أحد، ثم عاد بمثلها فما قام احد، ثم عاد بمثلها فما قام رجل، فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقال: يا أم سلمة ما شأن الناس . قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم إنساناً. واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق، فلو فعلت ذلك فعل الناس، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم احداً حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون "[30].

ثامناً: السيدة أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) رضي الله عنها:

تزوجها الرسول ﷺ وهي ابنة عدو المسلمين اللذود آنذاك ولكنها كانت مسلمة وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فراراً بدينها وهناك ارتد زوجها[31] عبيدالله بن جحش، وبقيت على دينها وحيدة فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يوكله في تزويجه إياها فَسُرت سُروراً لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه وتعالى ؛ لأنها لو رجعت إلى أبيها وأهلها

لأجبروها على الكفر والردّة وقد أصدقها النجاشي عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة ... فلما بلغ الخبر أبا سفيان أقرّ ذلك الزواج وقال: "هو الفحل لا يجدع أنفه "[32].

لم يترك الرسول ﷺ المرأة المسلمة بلا عائل في الغربة بعد أن فارقها زوجها، وكان أبوها من أئمة الكفار – آنذاك – فاستحق ثناء عدوه عليه، وعلّم المسلمين جديداً من تعاليم الإسلام[33].

تاسعاً: السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

تزوجها الرسول ﷺ وهي أرملة مسافع بن صفوان الذي قتل يوم المريسيع فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: أصاب رسول الله ﷺ بني المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفرس سهمين والرجل سهماً فوقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس فجاءت إلى الرسول ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من الأمر ما علمت وقد كاتبني ثابت بن قيس على تسع أواق فأعني على فكاكي فقال عليه الصلاة والسلام: أو خيرٌ من ذلك؟ فقالت: ما هو؟ فقال: أؤدي عنك كتابك وأتزوجك فقالت: نعم يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ قد فعلت [34]، ولما بلغ الخبر المسلمين اعتقوا كل ما بأيديهم من بني المصطلق إكراماً لمصاهرة الرسول ﷺ لهم، حيث قال الناس: أصهار رسول ﷺ وارسلوا ما بأيديهم . فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: " فلقد أعتق بتزويجه إياها منه مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها " [35].

عاشراً: السيدة صفية بنت حُيي بن أخطب رضي الله عنها:

فقد وقعت في الأسر عندما أدّب الرسول ﷺ قومها حين خانوا عهدهم معه وينتهي نسبها إلى هارون أخي موسى عليه السلام وقد قتل أبوها وزوجها يوم خيبر[36]، ووقعت في سهم أحد المسلمين فقال أهل الرأي والمشورة هذه سيدة بني قريظة لا تصلح إلا لرسول الله ﷺ فعرضوا الأمر على الرسول الكريم ... فدعاها وقال لها: اختاري؟ فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي وإن اخترت اليهودية فعسى أن اعتقك فتلحقي بقومك فقالت: يارسول الله لقد هويت الإسلام وصدّقت بك قبل أن تدعوني إلى رحلك وما لي في اليهودية إرب ومالي فيها والد ولا أخ ... فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه[37] وتزوجها وقد أسلم بإسلامها عدد من قومها. وقد وصفها الرسول الكريم بالصادقة حيث كان ﷺ في مرضه شاكياً وعنده أزواجه فقالت صفية رضي الله عنها: " يا رسول الله لوددت أن الذي بك بي، فتغامز بها أزواج النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: اعتبنها فو الذي نفسي بيده إنها لصادقة .[38]

الحادية عشر: السيدة ميمونة بن الحارث الهلالية رضي الله عنها:

وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ووصفها القرآن بالإيمان، فعن قتادة رضي الله عنه قال: " تزوج

الرسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث ... حين اعتمر بمكة، ووهبت نفسها للنبي ﷺ وفيها نزل قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [39] تم صدرت معه ﷺ إلى المدينة ".[40]

وقد كان اسمها برّة فسماها ﷺ ميمونة وقد قالت عنها السيدة عائشة: أما إنها كانت من أتقانا وأوصلنا للرحم، وهي أرملة أبي رهم بن عبد العزى وقد كان زواجه منها تكريماً لعشيرتها الذين آزروا الرسول الكرم ونصروه، وقد وصفها الرسول الكريم ﷺ بأنها مؤمنة، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " الاخوات المؤمنات ميمونة بنت الحارث وأم الفضل وأم عميس " [41]

لقد عدّد الرسول الكريم ﷺ زوجاته وكان ذلك خصوصية له دون غيره، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ [42].

إن الرسول ﷺ ما كانت له حاجة لأن يتزوج بمن تزوج من النساء بعد السيدة خديجة رضي الله عنها وقد أمضى معها زهرة شبابه وصفوة عمره لولا حرصه على الدعوة الإسلامية.[43]

كانت هناك حكم كثيرة وراء تعدد زوجاته نذكر منها:

أولاً: الحكمة التعليمية:

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجاته عليه الصلاة و السلام هو تخريج بضع معلمات للنساء يعلمنهن الأحكام الشرعية وقد فُرِضَ عليهن من التكاليف ما فرض على الرجال[44] وقد كان الحياء يمنعهن عن سؤال الرسول ﷺ عن بعض الأمور الشرعية الخاصة بهن، كأحكام الحيض والنفاس والأمور الزوجية وغير ذلك وكن يغالبن انفسهن عندما تدعوهن الحاجة إلى السؤال، وكان ﷺ شديد الحياء عند ذلك كما دلت على ذلك بعض المواقف في مثل هذه الأمور حيث كان يجيب عن مثل هذه الأسئلة ويكنى بالإجابة فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار سألت رسول الله ﷺ عن غسلها من المحيض فعلمها كيف تغتسل ثم قال لها: خذي خرقة ممسّكة " أي قطعة من القطن بها أثر الطيب" فتطهري بها؟ فقالت " كيف أتطهر بها؟ قال: تطهري بها، قالت كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ فقال: سبحان الله تطهري بها !! .. فقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: فاجتذبتها من يدها فقلت لها: ضعيها في مكان كذا وتتبعي بها أثر الدم وصرحت لها بالمكان الذي تضعها فيه"[45].

وقد ورد في الصحيحين حديث روته أم سلمة رضي الله عنها أن أم سليم زوج أبي طلحة جاءت إلى الرسول ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة غسل إذا

هي احتلمت ؟ فقال لها النبي ﷺ ، نعم إذا رأت الماء .. فقالت أم سليم: لقد فضحت النساء ويحك أَوَ تحتلم المرأة ؟ فأجابها النبي الكريم: إذاً فبِمَا يشبهها الولد ؟ [46].

وقد كان لزوجات النبي ﷺ الطاهرات دور عظيم في تبليغ الشريعة ونشر السنة لاسيما ما يتعلق بحياة النبي ﷺ الزوجية داخل بيته الكريم مثل الاحكام المتعلقة بالمعاشرة الزوجية وكيفية الاغتسال وغيرها من الأحكام، وقد قال تعالى مخاطبا أزواج النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [47] وقد قمن بهذه المهمة خير قيام، فمن يطلع على كتب السنة يجدها زاخرة بالأحاديث التي جاءت عن طريقهن تبين حركة الرسول الكريم وسكونه في بيته، وكذلك الأحكام التي توضح قمة العدل والقسط بينهن وحسن معاشرتهن ورعاية جانبهن « [48]

وقد كان لهن أيضاً كبير الفضل في نقل جميع أحواله ﷺ من أقوال وأفعال و تقريرات وأصبح من هؤلاء الزوجات معلمات محدثات نقلن هديه عليه الصلاة والسلام واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء .

ثانياً: الحكمة التشريعية:

لقد كانت في الجاهلية العديد من العادات الحسنة والعادات المستنكرة وعندما جاء الإسلام أقرهم على العادات الحسنة وأبطل ما عداها، ولكن كان للتشريع في ذلك أساليب مختلفة منها ما جاء على سبيل التدرج ومنها ما جاء على سبيل النهي المطلق، وغيرها من الأساليب الأخرى، وكان من ضمن العادات المستنكرة عادة التبني التي كانت ضاربة أطنابها في تلك المجتمعات فقد كان الواحد منهم يتبنى ولد غيره ويقول له: أنت ولدي أرثك وترثني وقد ألهم الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام أن يتبنى أحد الأبناء وكان ذلك قبل البعثة النبوية فتبنى زيد بن حارثة على عادة العرب[49]، وكانوا ينادونه زيد بن محمد حتى أنزل الله في ذلك قرآناً يقول فيه: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾[50] فقال الرسول ﷺ له أنت زيد بن حارثة بن شرحبيل وعندما شب زيد زَوَّجَهُ ﷺ من ابنة عمته زينب بنت جحش وقد كانت قرشية من أشراف قريش، وكان هو عبداً مملوكاً قبل أن يتبناه الرسول ﷺ فكانت ترى نفسها عليه وساءت العلاقة بينها، وكان يأتي إلى الرسول الكريم يريد طلاقها ولكن الرسول ﷺ يرد عليه قائلاً: "أمسك عليك زوجك" ولكن الأمر بينهما طال على هذا الحال فطلقها زيد، وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يتزوجها ليبطل ما عرفه العرب من تحريم زوجة الابن المتبني على الأب، ولكنه ﷺ كان يتباطأ في ذلك، فنزل العتاب الشديد له ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [51].

وهكذا انتهت بهذا التشريع الإلهي عادة كانت منتشرة بين كل قبائل العرب آنذاك، وقد كانت السيدة زينب بنت جحش ﵂ تفخر على نساء النبي الأخريات بقولها: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات» وبهذا تبطل الادعاءات التي يطلقها المستشرقون ومن سار على نهجهم أن زواجه كان بدافع الشهوة والهوى ويتجلى الغرض النبيل وراء زواجه ﷺ في كل مرة.

ثالثاً: الحكمة الاجتماعية:

تزوج الرسول الكريم بابنتي صديقيه أبي بكر وعمر وذلك تكريماً لهما وهما من أكثر الناس نُصرةً له في نشر دعوته.

فقد تزوج بابنة أبي بكر الصديق أعز الناس وأحبهم إليه وأعظمهم قدراً لديه حيث كان الصديق أسبق الناس إلى دعوته وأكثرهم عوناً له بالنفس والمال وقد تحمل الأذى في سبيل ذلك حتى قال عنه الرسول ﷺ: "ما لأحد عندنا يدُ إلا وقد كافيناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدٌ يكافئه الله تعالى بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر وما عرضت الإسلام على أحد إلا وكانت له كبوة (أي تردد وتلكؤ) إلا أبا بكر فإنه لم يتلعثم ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله تعالى"[52].

ويروى أنه ﷺ تزوج السيدة عائشة ﵂ بأمر من الله[53] تعالى وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح، فإن زواجه ﷺ منها كان تكريماً لصاحبه الصديق وتوثيقاً للمودة بينهما.

أما السيدة حفصة ﵂ فقد مات عنها زوجها في بدر وكانت ذات إباء وعفة وَحِدة في الطباع، وظلت بدون زواج وكان الصحابة يخافون حِدة طباعها، فتقدم أبوها بيدها لعثمان فاعتذر، ثم أبي بكر فسكت فرأى عمر أن ذلك سُبة له فذهب مغاضباً إلى رسول الله ﷺ يشكوه، فطلب الرسول الكريم يدها منه ليوثق من علاقته به[54]، ويكافئه على صدقه وإخلاصه وتفانيه في سبيل هذا الدين، وقد ساوى ﷺ بينه وبين وزيره الأول أبي بكر في تشريفه بهذه المصاهرة فكان زواجه بابنتيهما أعظم شرف لهما، بل وأعظم مكاناً ومنّة، ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما في الحياة بشرف أعلى من هذا الشرف، فما أجلَّ سياسته؟ وما أعظم وفائه للأوفياء المخلصين[55].

وقد تزوج ﷺ بعض زوجات صحابته الذين استشهدوا وخلّفوا أسراً وأولاداً يحتاجون إلى رعاية فتزوجهن الرسول الكريم تكريماً لأزواجهن الشهداء وحماية لهن ورعاية لأبنائهن وهن:

● **ام سلمة** ﵂: فلقد هاجرت مع زوجها إلى الحبشة وفي غزوة أحد استشهد زوجها فخطبها الرسول ﷺ فاعتذرت لكبر سنها وكثرة عيالها ولشدة غيرتها ثم قبلت فتزوجها ﷺ عزاءً لها عن زوجها وتكريماً.

● **زينب بنت خزيمة** رضي الله عنها: فقد استشهد زوجها في غزوة أحد ولم يكن لها معين ولا كفيل فتكفل بها الرسول الكريم وتزوجها[56].

● **سودة بنت زمعة** رضي الله عنها فقد توفي عنها زوجها عند الرجوع من هجرة الحبشة الثانية ولم يكن لها مأوى غير بيت أبيها وكان مشركاً فخشي عليها الرسول ﷺ من أذى أبيها فتزوجها وكانت كبيرة في السن حتى إنها وهبت يومها للسيدة عائشة [57].

رابعاً: الحكمة السياسية:

لقد كانت بعض زيجاته ﷺ من أجل تأليف القلوب عليه وجمع القبائل حوله فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة أو عشيرة أصبح بينه وبينهم قرابة أو مصاهرة وذلك بطبيعته يدعوهم إلى حمايته ونصرته[58] ومن هذه الأمثلة تتضح الحكمة من زواجه ﷺ .

● من ذلك زواجه عليه الصلاة والسلام برملة بنت أبي سفيان «أم حبيبة» رضي الله عنها بعد أن مات عنها زوجها فتزوجها الرسول الكريم وكانت العداوة شديدة بين بني هاشم وقومها في الجاهلية وكان أبوها على رأس الكفار آنذاك فأراد الرسول أن يؤلف القلوب، حتى إن أبا سفيان قال عندما علم بأمر هذا الزواج «هذا الفحل لا يجدع أنفه»[59].

● زواجه من جويرية رضي الله عنها بنت الحارث: سيد بني المصطلق حيث وقعت أسيرة في غزوة بني المصطلق وقد أسر المسلمون عدداً كبيراً من قومها فأراد النبي أن يطلق المسلمون ما بأيديهم من الأسرى فخطبها ﷺ عندما جاءته تطلب الفداء فوافقت وتزوجها فأطلق المسلمون كل الأسرى الذين كانوا بأيديهم قائلين: أصهار رسول الله ﷺ أسرى تحت أيدينا فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل وهذا السمو أسلموا جميعاً ودخلوا في دين الله[60].

● زواجه ﷺ من صفية رضي الله عنها بنت حيي بن أخطب سيد بن قريظة: فقد وقعت في الأسر عندما أدّب رسول الله قومها حين خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ فخص الصحابة بها رسول الله فدعاها رسول الله وخيرها بين أن يعتقها ويتزوجها أو يطلق سراحها وتلحق بقومها فاختارت الأولى لما رأته من جميل خلقه وعظمه، وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس[61].

الخلاصة

إن تعدد زوجاته ﷺ كان لحكم سامية وغايات نبيلة حيث حقق بذلك الزواج العديد من الغايات والأهداف التي كان لها عظيم الأثر في نشر الدين ورفع راية الإسلام ونصرة المسلمين، ولتنشيط الحركة العلمية التي كان المجتمع في ذلك الوقت في أمس الحاجة إليها، حيث كانت زوجاته يتعلمن منه العلم وينشرنه بين الناس، وخاصة النساء، فقد كانت السيدة حفصة رضي الله عنها حافظة للقرآن الكريم، والسيدة عائشة رضي الله عنها راوية للحديث الشريف . ولقد رَوى عن نسائه كثير من الرجال والنساء في مختلف الأحكام الشرعية

خاصة في قضايا النساء، وتعلم المسلمون منه المبادئ الإنسانية والقيم الخلقية التي يجب أن يقوم عليها المجتمع من تكافل وتآزر.

وبهذا اتضحت جلياً الحكمة من تعدد زوجاته ﷺ وبَطُلَ ما ادَّعاهُ المارقون من ادعاءاتٍ، وما بثُّوهُ من سموم وأكاذيب .

الهوامـــش

1 – سورة القلم، الآية 4.

2 – سورة الأحزاب، الآية 50.

3 – كتاب التلخيص الحبير، ابن حجر، كتاب النكاح، فصل التحقيق من النكاح، باب خصائص النبي في النكاح وغيره، ج3، ص 296.

4 – تعدد الزوجات، كريمة عمر عبود،المنشأة العامة العامة للنشر .طرابلس .ليبيا،1984م،ص 261-260

5 – سورة الأحزاب، الآية 52.

6 – زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن، محمد محمد الصواف، بيروت لبنان ،1979م ص 14.

7 – روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، مكتب الغزالة، دمشق سوريا، ج2ص 327

8 – سورة الأحزاب، آية 6.

9 – سورة الأحزاب، آية 53.

10 – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي المكتبة التوفقية ، القاهرة ، نصر .لاط لات جـ14، ص123 .

11 – روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، جـ2، ص328.

12 – الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت لبنان ، لاط، تجـ 1 : ص195.

13 – صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم (3).

14 – صحيح البخاري، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، حديث رقم (3606).

15 – صحيح مسلم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، رقم (6433) .

16 – صحيح مسلم، باب جواز هبة الزوجة نوبتها لضرتها، رقم (3702) .

17 – مسند الامام احمد، مسند الانصار، حديث السيدة عائشة، رقم (24378).

18 – صحيح البخاري، كتاب مناقب الانصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة رقم (3895) .

19 – تعدد الزوجات من الناحية الدينية والاجتماعية والقانونية، عبدالناصر توفيق العطار، دار الشروق جدة العروبة ص 137.

20 – سنن الترمذي، كتاب الدعوات، ابواب المناقب، باب فضل السيدة عائشة، رقم: (3847).

21 – المعجم الكبير للطبراني، ج23، ص294 .

22 – اخرجه النسائي في السنن حديث رقم (4264).

23 - اخرجه ابو داود كتاب النكاح، باب القسم بين النساء رقم (2134). وابن ماجة، كتاب النكاح باب القسمة بين النساء، رقم (1977).

24 - روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، جـ2، ص331.

25 - الطبقات الكبرى، لابن سعد، جـ8، 82.

26 - تعدد الزوجات، كريمة عمر عبود، ص266 .

27 - سورة الأحزاب، آية 36.

28 - روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، جـ2، ص334 335-.

29 - صحيح مسلم، باب ما يقال عند الضيق، حديث رقم (2165).

30 - مسند الامام احمد، حديث المسورة بن مخرمة ومروان بن الحكم عن الزهري حديث رقم (18930) ج4، ص323 .

31 - وردت رواية أخرى تفيد أن زوجها توفي عنها، انظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، جـ2، ص337 والرواية التي اثبتناها وردت في الطبقات الكبرى جـ8، ص26، وتفسير المنار جـ4، ص372.

32 - روائع البيان في تفسير آيات الأحكام جـ2: 326 ، تفسير المنار: محمد رشيد رضا، جـ4 ص372 .

33 - تعدد الزوجات، عبد الناصر العطار، ص 142 143-.

34 - الطبقات الكبرى لابن سعد جـ 8، ص117.

35 - السيرة النبوية، لابن هشام، دار صادر، بيروت لبنان ج2، ص 295 .

36 - الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ8، ص127.

37 - الطبقات الكبرى، لابن سعد جـ8: ص221 .

38 - المصنف لعبدالرزاق الصنعاني، ج11، ص431 .

39 - سورة الأحزاب، آية 50.

40 - المستدرك للحاكم، ج16، ص57.

41 - المعجم الكبير للطبراني ،ج24، ص 131.

42 - سورة الأحزاب، آية 50 .

43 - زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن، محمد محمد الصواف، ص14.

44 - روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، جـ2، ص313.

45 - صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل، حديث رقم (314) .

46 - صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب إذا احتملت المرأة، حديث رقم (282) .

47 - سورة الأحزاب، آية 34 .

48 - زوجات النبى ، سعيد أيوب، دار الهادى للطباعة والنشر، بيروت لبنان ، ط 1997،ج 1 ص11

49 - روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، جـ2، ص321.
50 - سورة الأحزاب، آية 50.
51 - سورة الأحزاب، آية 37.
52 - صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلاً حديث رقم (345).
53 - الطبقات الكبرى، لابن سعد، جـ8، 63.
54 - تعدد الزوجات، كريمة عمر عبود، ص265 – 266 .
55 - روائع البيان، محمد علي الصابوني، جـ2، 324.
56 - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس العقاد، المكتبة العصرية، بيروت لبنان ص193 .
57 - نساء النبي – عائشة بنت الشاطئ « عائشة » طبعة خاصة دار العلم، القاهرة مصر ص58.
58 - روائع البيان، محمد علي الصابوني، جـ2، 324.
59 - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، جـ4 ،ص 372.
60 - روائع البيان، الصابوني، جـ2، ص324 325-.
61 - المرجع نفسه، جـ2، ص 326 .